
Reem Khlaif Abdullah AL,MRAYAT¹

Ahmed Awad Zayed ALKARAK²

**THE TERMS WALI AND DIGNITY IN THE NOVEL (THE
FORTY RULES OF LOVE) BY THE TURKISH AUTHOR
ELIF SHAFAK**

<http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.5-2.5>

Research Article

Received:
22/07/2020
Accepted:
14/08/2020
Published:
01/11/2020

This article has been
scanned by iThenticat
No plagiarism detected

Copyright © Published
by Rimak Journal,
www.rimakjournal.
com

Rimar Academy, Fatih,
Istanbul, 34093 Turkey
All rights reserved

Abstract:

The novel, "the forty rules of love" had caused a revolution in literature so that the novelist " Elief Shafak " could successfully access the world of mysticism in details. The novel presented a model that many writers and novelist followed to describe the phenomenon of mysticism and its principles, but In this study , I have chosen two concepts to write about these are " liege and karamah" which theosophists discussed a lot.

The liege has occupied a special place among theosophists since they believe that he has strong ties with allah and prophets ,so lieges are related to higher clusses according to this doctrine, Theosophists also believe that lieges can predict about the future and could achieve miracles which enable them face any difficulties

Key Words: Elief Shafak, The Forty Rules of Love, A Novel.

¹ Researcher ,TheJordanian Ministry of Education ,Jordan, ariamcenter122195@gmail.com <https://orcid.org/0000-0002-2075-7225>

² Researcher, TheJordanian Ministry of Education Jordan, ariamcenter122195@gmail.com

مصطلحا الولي والكرامة في رواية (قواعد العشق الأربعون) للكاتب التركية (إليف شفق)

أحمد عوض الكري³
ريم خليف عبد الله المرديات⁴

الملخص

شكلت رواية (قواعد العشق الأربعون) ثورة في مجال الكتابة الأدبية، إذ استطاعت (إليف شفق) من خلال هذه الرواية اختراق عالم التصوف بكل تفاصيله، وقدمت لنا أنموذجا سار على نهجه الكثير من الأدباء الذين تناولوا ظاهرة التصوف. عبرت الرواية عن أغلب المصطلحات التي تدور في الفكر الصوفي. وقد اخترت في هذه الدراسة الحديث عن مصطلحي (الولي) و (الكرامة)، وهما من المصطلحات التي نالت حظا كبيرا لدى المتصوفة، إذ يمتلك الولي مكانة راقية بين المتصوفة، فهم يعتقدون بأنه على علاقة مباشرة مع الله سبحانه وتعالى، ويقترّب من درجة الأنبياء، وأما الكرامات فهي الدليل على صحة هذه المكانة التي نالها الولي، كما كانت المعجزات دليلا دامغا على صحة نبوة الأنبياء. وقد زخرت رواية قواعد العشق الأربعون بالكرامات المتنوعة التي أيد فيها عدد من الأولياء

الكلمات المفتاحية: إليف شفق، قواعد العشق الأربعون،

³الباحث، الأردن، وزارة التربية والتعليم الأردنية ariamcenter122195@gmail.com
⁴الباحث، الأردن، وزارة التربية والتعليم الأردنية ariamcenter122195@gmail.com

المقدمة:

قدمت ظاهرة التصوف مجالاً خصباً للكتاب بشكل عام، والروائيين بشكل خاص، فكانت ملاذاً آمناً يلجؤون إليه للتعبير عن رفضهم للواقع، ودعوة منهم إلى الابتعاد عن الرغبة في الدنيا وملذاتها، والاتجاه إلى الله فقط، خاصة في ظل الهجمة الشرسة التي يتعرض لها الإسلام ومحاولة تشويه صورته في الفترة الأخيرة، فنكران الذات والتوحد مع الله بعيداً عن طمع الدنيا وزخرفها الهامهم الخوض في موضوع التصوف من خلال أعمالهم الروائية التي طبعت بهذا الجانب، فوجدنا في الآونة الأخيرة عدداً لا بأس به من الروايات التي جعلت من التصوف موضوعاً لها، وقد كان لرواية (قواعد العشق الأربعون) للروائية التركية إليف شفق دوراً في تحريك المياه الراكدة وإزالة الغبار عن موضوع التصوف ليعود بقوة إلى الساحة الأدبية والفكرية لينبرئ عدد من الكتاب للكتابة حول هذا الموضوع. والحديث عن التصوف يقودنا إلى الحديث عن الأولياء الذين يمثلون الطبقة العليا بين المتصوفة، بما يمتلكون من كرامات خصهم الله سبحانه وتعالى بها، وميزتهم عن بقية المتصوفة بشكل خاص وبقية البشر بشكل عام. مثلت رواية (قواعد العشق الأربعون) المصطلحات الصوفية بطريقة مبدعة، وركزت على المصطلحات الأكثر أهمية في العالم الصوفي، كمصطلحات الولي والكرامة والملازمة والمقام والسماع والزهد والحلول والاتحاد ووحدانية الوجود بالإضافة إلى فكرة العشق الإلهي، وقد عبرت الكاتبة عن هذه المصطلحات عن طريق الحوارات التي ابتدعتها كاتبة الرواية بين شخصيات قصتها، ولا سيما بطل القصة (شمس الدين التبريزي) الذي لخص لنا قواعده الأربعين في التصوف من خلال هذه الرواية.

سنتطرق في هذا البحث إلى مصطلحين من مصطلحات الفكر الصوفي، من خلال رواية (قواعد العشق الأربعون)، وهما مصطلح الولي ومصطلح الكرامة الذي ارتبط بالمصطلح الأول، وقد سار البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال رصد صفات الأولياء، والكرامات التي ميزوا بها عن غيرهم.

مصطلح الولي:

الولي في اللغة

القرب والدنو والمطر بعد المطر. 5 والمراد بولي الله: العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته. 6 وُسْمِي ولي من المحبة والقرب، ومن موالاته للطاعات أي متابعتها لها. 7 ترتبط التعريفات السابقة بالمعنى الاصطلاحي، فجميعها تدل على القرب والدنو، والولي قريب من الله بطاعته وعبادته، فهو المنفذ لأوامر الله التارك للدنيا طمعاً في ثواب الآخرة، وهذا ما سيتضح من خلال المعنى الاصطلاحي للولي.

الولي في الاصطلاح:

جاء في معجم الاصطلاحات الصوفية للكاشاني أن الولي: "من تولى الحق أمره، وحفظه من النسيان، ولم يخله ونفسه بالخذلان، حتى يبلغه في الكمال مبلغ الرجال، قال تعالى: (وهو يتولى الصالحين). وأما الولاية: "فهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه وذلك يتولى الحق إياه حتى يبلغه غاية مقام القرب والتمكين. 8

وقد ورد مصطلح الولي تحت مسمى الزاجر، والزاجر هو: "واعظ الله في قلب المؤمن وهو النور المقذوف فيه الداعي له إلى الحق". 9

تعددت تعريفات الولي ومن هذه التعريفات: "من توالى طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله.

والولي: هو العارف بالله وصفاته بحسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات. 10

⁵ انظر، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط5، 2011م، 1058/2.

⁶ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت 1379هـ/350/10.

⁷ ابن تيمية، الفرغان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، 1985م ص9

⁸ الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1، 1992م ص 79 .

⁹ نفسه ص 80.

¹⁰ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص213 .

وعرف الجرجاني الولاية بقوله: هي قيام العبد بالحق عند الغناء عن نفسه والولاية في الشرع، تنفيذ القول على الغير شاء الغير أو أبي". 11

ومن المسميات الأخرى للولي المجتبي ومنها الاجتباء: وهو "جذب الله تعالى للعبد إلى حضرة قدسه بحكم الفضل والجود، والعناية بلا تقدم سبب عن العبد والمجتبي يُسمى محبوباً ومصطفى ومراداً ومعنى به". 12
وأما الخليفة في الفكر الصوفي: "فمن له التصرف العام والحكم الشامل التام في جميع المملكة الإلهية، وله بحسب ذلك الأمر والنهي والتقدير والتوبيخ والذم على حسب ما يقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبياً أو ولياً مستوون في هذه المدنية يعني مرتبة الخلافة". 13

إذن الولي: "هو من تولى الله أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه وتعالى وصفاته، وقد يجهل الولي شيئاً من أحكام الشريعة المطلوبة في حقه ولا يعرفها إلا بالتعلم والسؤال ولا تفاض من غير تعلم. ولا يحاط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التي يحتاج إليها الناس، إلا الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشريعة في كل عصر ولو كان أمياً لم تسبق له قراءة". 14

يرى صاحب الرسالة القشيرية أن مصطلح الولي يحتمل أمرين: "أحدهما أن يكون فعلاً مبالغاً من الفاعل، كالعليم والتقدير وغيره، فيكون معناه من توالى طاعته من غير خلل معصية.

ويجوز أن يكون فعلاً من مفعول، الفتيل بمعنى مفتول وهو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الإدامة والتوالي، فلا يخلق له الخذلان الذي هو العصيان، إنما يتم توفيقه الذي هو قدرة الطاعة، قال الله تعالى: (وهو يتولى الصالحين)". 15

والولاية كما يشير أيمن حمدي قد تكون عامة أو خاصة، يقول: "الولاية عامة وخاصة، فالعامة هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام والخاصة، من سيد الوجود إلى الختم.

والمراد بالخاصة، هو من انصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال ولم ينقص منها واحداً، وهذا خاص بسيد الوجود ومن ورثه من أقطاب هذه الأمة إلى الختم، ولا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال، أن يكونوا أعلى من غيرهم في كل وجه بل قد يكون من لم يتصف بها أعلى من غيره في المقام". 16
وللولي كرامات تميزه عن غير، ومن جملة كرامات الولي أن يعلم أنه مأمون العاقبة، وأنه لا تتغير عاقبته. 17

كما أن من شرط الولي "أن يكون محفوظاً كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً". 18
وقالوا من صفة الولي "أن لا يكون له خوف، لأن الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف، والولي ابن وقته، ليس له مستقبل فيخاف عليه. وكذلك حزن له، لأن الحزن من حزونة القلب ومن كان في ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن، قال الله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)". 19

زخرت رواية العشق الأربعون بالكثير من المصطلحات الصوفية، وفسرتها من خلال أبطال الرواية، فقد كانوا أولياء الله الذين يحاولون إخراج الناس من أحوالهم الصعبة من خلال الارتباط بالله، وتشكيل علاقة عشق مع الله تقودهم إلى الاتحاد معه، ومثل الأولياء دور الأنبياء في وعظهم الناس، وقد جعلوا لأنفسهم كرامات وصفات تمكنهم من لعب هذا الدور، فالولي يصعد إلى السماء من خلال الرؤى ويكلم الله، فهذا شمس بطل رواية (قواعد العشق الأربعون) يصعد إلى السماء ويكلم الله منذ طفولته يقول: "ومنذ طفولتي، كنت أرى رؤى وأسمع أصواتاً، وكنت أكلم الله، وكان يرد علي على الدوام. وفي بعض الأيام، كنت أصعد إلى السماء السابعة بخفة شديدة، ثم

11 نفسه، ص 213 .

12 حمدي، أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000 م ص 50 .

13 نفسه، ص 58 .

14 نفسه، ص 95+96 .

15 القشيري، أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، العراق، 2003م، ص 298 .

16 قاموس المصطلحات الصوفية، ص 95 .

17 انظر، الرسالة القشيرية، ص 299 .

18 نفسه، ص 223 .

19 نفسه، ص 226 .

أهبط في أعرق حفرة في الأرض تفوح منها رائحة التراب، ولم تكن هذه الأشياء تخيفني، وتعلمت على مدى الأيام ألا أذكرها لأحد فالبشر يميلون إلى الاستخفاف بما لا يمكنهم فهمه". 20

اختص الله سبحانه وتعالى الأولياء بقدرات مبهمة غيرهم، فليس كل صوفي ولي وإنما هو اختيار الله لهؤلاء الأولياء، وحتى الأولياء أنفسهم يتفاوتون في قدراتهم وفهمهم، يقول شمس الدين التبريزي: "أما العلماء الذين يركزون على الشريعة فهم يعرفون المعنى الخارجي؛ في حين يعرف الصوفيون المعنى الباطني. أما الأولياء فهم الذين يعرفون باطن الباطن، بينما لا يعرف المستوى الرابع إلا الأنبياء والأولياء الصالحون والمقربون من الله". 21

والولي يمتلك حدس واستشراق للمستقبل والمواقف لا يمتلكه غيره، ومن الإمكانيات الخارقة التي أمتلكها الأولياء رؤية الأموات والحديث معهم ومخاطبتهم فكيف تشاهد زوجة الرومي المتوفية وتبادلها أطراف الحديث، بل وتساعدنا في الخروج من المواقف الصعبة كذلك، وتفتح لها قلبها وتخبرها برغبتها في إنجاب فتاة. تقول كيمي: "لم أعرف ماذا أقول، وأحسست بأني فتاة بائسة، بل مذنبه. وبدا أن أبي كان قلقاً أيضاً فراح يبحث عن حذائه. مرة أخرى هبت الشابة لنجدتي وقالت: قولي له إن زوجته كانت ترغب في إنجاب فتاة وأنها ستكون سعيدة عندما ترى أنه يعلم فتاة أخرى. ضحك الرومي عندما نقلت له الرسالة، وقال: هذا يعني أنك زرت بيتي وكلمت زوجتي. لكن دعيني أطمئنك أن كيرا لا تتدخل في أمور تعليمي. ببطء وعلى نحو يائس هزت الشابة رأسها، وهمست في أذني: قولي له أنك لا تتحدثين عن كيرا، زوجته الثانية، بل عن جوهر أم ولديه. فقلت: كنت أتحدث عن جوهر، ونطق الاسم بعناية، أم ولديك. شحب وجه الرومي، وقال بجفاف: إن جوهر ميتة يا طفلي". 22

ومن الدلالات الأخرى على ما يملكه الولي من كرامات، أن الفانوس لا ينطفئ مع شمس رغم الريح والمطر، وهذا فعل مخالف للعقل، فالريح القوية لا تتفق ونار الفانوس الضعيفة. "ثم خطرت لي فكرة أخرى، فكيف يمكن أن يظل الفانوس الذي يحمله بيده مشتعل على الرغم من الرياح العاصفة والأمطار الغزيرة الهائلة؟" 23

والولي مبارك يشفي الناس بالبركة والدعاء ويكشف ما يسرون في بواطنهم، وقد وضعت فيهم أسرار الله وبركاته وامتازوا عن غيرهم بهذه الميزة، ولا تختص الولاية بدين معين، فالولي قد ينتمي لأي دين، والله ميز هؤلاء الأولياء لنقاء سيرتهم، وصفاء نواياهم، ومحبتهم العميقة لله، ولكافة مخلوقاته، فهم ينتمون إلى البشرية جمعاء، ويرون الله في كل مخلوقاته. يقول شمس التبريزي: "قبل أن أدخل أبواب أي مدينة لم أزرها من قبل، كنت أتوقف قليلاً لألقي تحية على الأولياء والقديسين، الأحياء منهم والأموات، المعروفين منهم والمخفيين. فكنت كلما أصل مكاناً جديداً، فإن أول شيء أفعله هو أن أتلقى بركة الأولياء الصالحين، سواء أكانوا مسلمين أو مسيحيين أو يهوداً، لأنني أؤمن بأن الأولياء الصالحين يترفعون عن هذه الفروق الاسمية التافهة، وهم ينتمون إلى سائر البشرية". 24

والجدير بالذكر أن الناس يحسون بقدرة الأولياء الخارقة، وصفاتهم المميزة وقربهم من الله، وكرامتهم عنده؛ فالولي مجاب الدعاء قوي أعطاه الله ما لم يعط غيره من الناس وإن تفاوتت قدرات هؤلاء الأولياء فيما بينهم، فالقاتل المأجور كان يفضل الذهاب وحده لقتل شمس، إلا أن من استأجره أصر على الذهاب معه ليتأكد من موت شمس، لاعتقاده بأنه يمتلك قوة خارقة، تتجاوز قدرة القاتل المتمرس في القتل. جاء في قواعد العشق الأربعون "الأوغاد البلهاء لقد طلبت منهم ألا يأتوا معي. أوضحت لهم أنني أعمل وحدي دائماً وأكره رؤية الزبائن يتدخلون في أموري، لكنهم أصرروا لأنهم يعتقدون بأن الدرويش يمتلك قوى خارقة، ولا بد أن يروه ميتاً بأم أعينهم". 25

مصطلح الكرامة
الكرامة في اللغة:

الغطاء يوضع على رأس الجرّة أو القدر. ويقال: لفلان عليّ كرامة: عزة. ويقال: أفعل ذلك كرامة لك، ونعم وحباً وكرامة، والكرامة: الأمر الخارق للعادة غير المقرون بالتحدي ودعوى النبوة، يظهره الله على أيدي أوليائه. 26

20 شفق، إليف، قواعد العشق الأربعون، ترجمة: خالد الجبيلي، دار طوى للنشر والاعلام، لندن، ط1، 2012م، ص 58+59.

21 قواعد العشق الأربعون، ص 77.

22 نفسه ص 254.

23 نفسه، ص 476.

24 قواعد العشق الأربعون، ص 147.

25 نفسه، ص 474.

26 انظر، المعجم الوسيط ص 784.

الكرامة في الاصطلاح:

الكرامة فعل مناقض للعادة، أو بمعنى أدق الكرامة لا تتفق مع العقل، وهي أفعال مناقضة للعادة وقد ميّز الله بها بعض عباده الصالحين، ويشير القشيري أن هذه الكرامات: "قد تكون إجابة دعوة، وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقه من غير سبب ظهار، أو حصول ماء في زمان عطش، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصاً من عدو، أو سماع خطاب من هاتف، أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة".²⁷

من ناحية عقلية ارتبطت الكرامات بالأساطير، بسبب مخالفتها للعقل، إذ لا يوجد دليل على صدق حدوثها، ولكن تبقى النفس الإنسانية الباحثة عن الحلول لمعالجة واقعها المرير ميدانا تبرز فيه هذه الكرامات، إذ يرى الناس في أصحاب الكرامات الأمل المنشود، وقد ارتبطت الكرامات كما الأساطير بالموروثات الدينية والتراثية، التي ما زالت تمتلك التأثير في نفوس الناس إلى يومنا الحاضر. يقول زيعور: "الكرامة كالأسطورة، لم تمت في المجتمع العربي الراهن، وما تزال تطل بالإنسان على الأمل، وتمتج بالبطولة الدينية، وتترك العنان للخيال وتربط الفرد بالمطلق، وتعبر عن تجارب روحية وأوليات نفسية دفاعية أو تكييفية"²⁸.

تقوم الكرامة كما يشير زيعور على الحدس والوجدان، وترتبط بالصورة بعيدا عن العقل، يقول: "البنية الأساسية في الكرامة هي الوجدان والحدس أولاً، يتعدى هذان من الإحساس والخيال وما يرتبط بهما من الصور، أما دور العقل هنا فخفيف، وأحياناً شبه معدوم، الطغيان للوجدانيات".²⁹

تنتج الكرامة من رغبة الأولياء في امتلاك قوى خارقة تميزهم عن غيرهم من سائر البشر، "فهي ظاهرة اجتماعية ذات صفة تعاضدية، لا تفهم بمعزل عن الظواهر الأخرى، بيد أنها تبقى الصق بالعينية، فتظهر تعبيراً رمزياً عن رغبات مكبوتة عند إنسان يسعى لتملك مثل عليا بواسطة تجربة التحقق".³⁰

ويقول: "تبدو الكرامة للوهلة الأولى نتائج عقلية لا منطقية أو قبل منطقية، من هذه الزاوية سنقول بتسرع إنها ندية على الذات والغير، في هذا القول قساوة؛ لكنها قساوة ضرورية في المجتمع الذي تكثر وتحيا فيه بقوة كما مجتمعا"³¹.

ذهب البعض أن الكرامات واردة الحدوث فقدره الله سبحانه وتعالى تسمح بحدوثها إذا أراد ذلك، وهي علامات على صدق الأولياء وقربهم من الخالق، فكما أيد الله رسله بالمعجزات، أيد الأولياء بالكرامات. قال الأستاذ أبو القاسم: "ظهور الكرامات على الأولياء جائز، والدليل على جوازه أنه أمر موهوم حدوثه في العقل، لا يؤدي حصوله إلى رفع أصل من الأصول، فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على إيجاده وإذا وجب كونه مقدوراً لله، فلا شيء يمنع جواز فضوله".³²

وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقاً فظهور مثلها عليه لا يجوز، "والذي يدل عليه أن تعريف القديم سبحانه إيانا، حتى نفرق بين من كان صادقاً في أحواله، وبين من هو مبطل عن طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلا باختصاص الولي بها بما لا يوجد مع المفترى في دعواه وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها. ولا بد أن تكون هذه الكرامة فعلاً ناقضاً للعادة في أيام التكليف، ظاهراً على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله".³³

خلط بعض الناس بين الكرامات وبين المعجزات، والحق أن هناك فرق كبير فيما بينهما، فالمعجزات اختص بها الرسل والأنبياء، وأيدهم بها الله لنشر رسالته وتصديقا لها، بعدما تعرضوا للتكذيب من أقوامهم فكانت دليلاً دامغاً على صحة ما يقولون. وأما الكرامات فقد اختص بها أولياء الله الصالحين وقد جاءت هذه الكرامات لمساعدتهم على أمور حياتهم، وليس لتصديقهم أو تكذيبهم، ولم يكن لها ذلك التأثير الذي قدمته المعجزات للأنبياء، واقتصرت تلك الكرامات على الخيال أكثر من الحقيقية، إذ لا يوجد دليل على حدوثها، على العكس من

²⁷ الرسالة القشيرية، ص 297.

²⁸ زيعور، علي، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2،

1984م، ص 22.

²⁹ نفسه، ص 22.

³⁰ نفسه، ص 20.

³¹ نفسه، ص 19.

³² الرسالة القشيرية، ص 295.

³³ الرسالة القشيرية، ص 295.

ذلك المعجزات التي كانت واضحة للجميع، وفي هذا يقول القشيري: "وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق، فكان الإمام أبو إسحاق الإسفراييني، رحمه الله، يقول: المعجزات دلالات صدق الأنبياء، ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي، كما أن العقل المُحكّم كما كان دليلاً لعالمٍ في كونه عالماً لا يوجد ممن لا يكون عالماً".³⁴

وكان يقول: "الأولياء لهم كرامات شبه إجابة الدعاء، فأما جنس ما هو معجزة للأنبياء فلا. وأما الإمام أبو بكر بن فورك، رحمه الله، فكان يقول المعجزات بدلالات الصدق، ثم إن ادعي صاحبها النبوة، فالمعجزات تدل على صدقه في مقالته، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حلتِه فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وإن كانت من جنس المعجزات".³⁵

ويضيف القشيري عن الإمام أبو بكر بن فورك، "وكان رحمه الله يقول: عن الفرق بين المعجزات والكرامات، أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها، والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعي ذلك ويقطع القول به والولي لا يدعيها ولا يُقطع بكرامته، لجواز أن يكون ذلك مكرراً".³⁶ إذن يخفي الولي كراماته ويستترها عن الناس، ولا يدعيها بينما يصرح الأنبياء بها ويطلعون الناس عليها تأكيداً لصدقهم، كما تقتزن المعجزة بالدعوة إلى الله، في حين لا يكون ذلك من عمل الأولياء. يقول القشيري: "لا تكون للأولياء معجزة، لأن من شرط المعجزة اقتران دعوة النبوة بها، والمعجزة لا تكون معجزة لعينها، وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة، فمتى اختل شرط من تلك الشرائط، لا تكون معجزة، وأحد تلك الشرائط، دعوة النبوة، والولي لا يدعي النبوة، فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة".³⁷

يتشابه القصص الديني المثبت في كتب التفسير القرآني مع الكرامات في جوانب عديدة، فالبطل هنا وهناك خارق بقدراته وبسلوكه، يهدف للهداية وينتصر على كل المعوقات.³⁸

إذن الكرامة هي الميزة التي يتميز فيها الصوفي عن غيره كما تميّز الأنبياء بمعجزاتهم، "لكن الكرامات ورغم الشبه القوي، فهي خاصة بالأولياء، وهي المرادف الذي يضعه الصوفي لنفسه إزاء ما يميز به الله أنبياءه".³⁹ ويشير زعبور إلى ارتباط الكرامة بالمعتقدات الدينية وترتبط كذلك بالمعتقدات الشعبية وغيرها يقول: "ترتبط الكرامة بالمعتقدات الدينية، فتعيد وتثبت ما جرى من معجزات الأنبياء، وما حصل عن نشوء الاحتفالات والطقوس والعبادات. وتشرب من المعتقدات الشعبية، فتجتاف الأسطورة والخرافة، والمثل الشعبي، واللغز، والحضن رواسب معتقدات قديمة وتصورات طقوس واحتفالات وموضوعات سحيقة، ورموزاً، وظواهر طبيعية ومواسم فصلية، وتنمو الكرامات، هذه الملاحم الداخلية والأناشيد البطولية الجارية في النفس البشرية إلى جانب العلوم الخفية، والآداب، والشعر والفنون وشتى وسائل التعبير البشري الأخرى".⁴⁰

لا تصل الكرامة إلى مرحلة المعجزة، بل لا تشكل كل كرامات الأولياء كما يشير البسطامي إلا قطرة رشحت من زق عسل. "وهذا أبو زيد البسطامي سئل عن هذه المسألة فقال: مثل ما حصل مع الأنبياء عليهم السلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة، فتلك القطرة مثل ما لجميع الأولياء".⁴¹

ارتبطت الكرامة بشكل عام بالدين، والكرامة الصوفية الإسلامية بالدين الإسلامي خصوصاً، وعليه بنى الصوفيون كراماتهم، على اختلافها وإن كانوا ينظرون إلى البشر بعيداً عن الدين الذي ينتمون إليه، إلا أن هذه الكرامات قد اختلطت بشيء من السحر والكهانة وغيرها من الرواسب، "يقوم التصوف العربي والإسلامي عموماً على الدين، وقد لجأ الصوفيون إلى أنبياء القرآن وإلى الظاهرة الدينية لتبرير وتشبيد كراماتهم التي هي جزء من نظرهم للوجود. من الثابت أن الكرامات تستمد جذورها من الدين، ولا سيما من المعجزات، ثم من ممارسته لكن الأصح أيضاً

³⁴ نفسه، ص 295.

³⁵ نفسه، ص 295+296.

³⁶ نفسه، ص 296.

³⁷ الرسالة القشيرية، ص 296.

³⁸ الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ص 31.

³⁹ نفسه، ص 33.

⁴⁰ نفسه، ص 19+20.

⁴¹ الرسالة القشيرية، ص 297.

أنها نبتت وتنتبت إلى جانبه، وكانت أقرب على المزاعم الشعبية منها إلى المعتقد الديني. فالذهنية الكرامية تشترك مع رواسب من عهود الكهانة والعرافة والسحر، وتستخدم لغاية نفعية وشخصية". 42

الكرامة من وجهة نظر زيعور هي الطريقة التي يبرر من خلالها الصوفي اختلافه عن بقية الناس، كما أنها وسيلته لطرده الإحساس بالغربة في مجتمع يختلف عنه اختلافا كليا روحيا وجسديا، "في اختصار نجد أن القصص الكرامية تصور العلاقات الاجتماعية، وتعكس الرغبة في رأب التمزق داخل الصوفي وفي تبرير اغترابه وروح الهجران فيه، فقامة مأساوية هذا أن يترك أهله ووطنه، ويرفض ذاته التاريخية على حساب أن يكون ابن وقته. الكرامات بحث ومسعى عن ضرورة توازن ووحدة الذات المتصوفة، وهي عمليات لتعزيز الذات، وبالتالي للمحافظة على وجودها واستمرارها". 43

وجود الصوفية يعني وجود الولي، ووجود الكرامة، والكرامة في معناها الصوفي الذي أشرنا إليه واضحة وضوح الشمس في رواية (قواعد العشق الأربعون)، فمصطلح الكرامة له وجود طاع في الرواية، فمنها ما اختص بعلم الغيب، وقراءة ما يدور في خلد الآخرين، ورؤية الأموات والحديث معهم، ومعرفة موعد الموت وعزرائيل، ومن هذه الكرامات ما يصل إلى حد المعجزات على الرغم من اختصاص الأنبياء بها، وقد خالطت بعض هذه الكرامات الأساطير أيضا.

يعرف الصوفي الغيب من خلال الرؤى التي تراوده، فقد دلت الرؤيا شمس على رفيقه الذي سيقاسمه علمه، وأنه سيستدل عليه عند ذهابه إلى بغداد، يقول شمس: "سمعت في الرؤية التي أتتني في سمرقند، بأنني يجب أن آتي إلى بغداد ليتحقق قدرتي، إني أعرف أنك تعرف اسم رفيقي، وأين يوجد، وأعرف أنك ستخبرني إن لم يكن الآن، ففي وقت لاحق". 44

ومن ذلك أيضا معرفة شمس بمستقبل صديقه الرومي، الذي سيعتره الحزن عند موت شمس وفراقه، وأنه سيعيش بقية عمره وحيدا وحزينا ومكسورا. يقول شمس: "بينما وقفت أستوعب صفاء اللحظة، وقد اعتراني أيضا شيء من التوتر، تراءى لي بصيص رؤية، فقد رأيت الرومي أكبر سنا وأضعف بكثير، مرتديا عباءة خضراء غامقة وجالسا في البقعة ذاتها وقد بدا أكثر عطفًا وأكثر كرما من أي وقت مضى، لكنني رأيت ندبة دائمة على قلبه في هيئتي. ففهمت أمرين في الحال وهما: أن الرومي سيمضي شيخوخته في هذا البيت، وأن الجرح الذي سيخلفه غيابي لن يبرأ مطلقا". 45

وقد لا يعتمد الصوفي على الرؤى لمعرفة ما سيحدث في المستقبل، بل معتمدا على حدسه العالي الذي يشبه الوحي في أحيان كثيرة، فشمس يتنبأ بأن كيرا ستنجب فتاة ويأمكنها أن تسميها مريم ويظهر هذا من خلال مخاطبته لكيرا زوجة الرومي، وحديثه عن مريم أم النبي عيسى عليه السلام: "إنها رمز للجميع، وكامرأة مسلمة، فإنك تستطيعين الاستمرار في حبها، بل حتى يمكنك تسمية ابنتك مريم، فقلت: لا توجد لدي ابنة. ستكون لديك ابنة أتظن ذلك؟

إني أعرف ذلك". 46

ومن كرامات الأولياء مخاطبة الأموات وبخاصة الصالحين منهم، وقد يكون هذا الخطاب بواسطة أو من دون ذلك، فشمس يطلب من الريح أن تسأل الأولياء الصالحين من الأموات عن مصيره قبل دخول مدينة قونية. يقول شمس: "طلبت من الريح أن تحمل كلماتي إلى الأولياء والقديسين في طول البلاد وعرضها. وبعد قليل، عادت الريح بالرد، وقالت: أيها الدرويش، لن تجد في هذه المدينة سوى نقيضين، ولا شيء بينهما فإما الحب الخالص، وإما الكره المحض. إننا نحذرك ادخل المدينة على مسؤوليتك الخاصة". 47

قد تتجاوز الكرامة شخص بعينه، لتشمل مجموعة من الأولياء، وربما تحط الكرامة على مدينة بأكملها، ويمتلك الصوفي حدسا عاليا يمكنه من توقع أشياء كثيرة، بل يتجاوز التوقع ليصل إلى مرحلة اليقين، فهو يستطيع أن

42 الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ص24+25 .

43 نفسه، ص34 .

44 قواعد العشق الأربعون، ص89 .

45 قواعد العشق الأربعون، ص242+243 .

46 نفسه، ص430 .

47 نفسه، ص148 .

يعرف ماذا يدور في خلد الآخرين، ويستطيع أن يتوقع تصرفاتهم، وأين يقفون وأين يذهبون، إنه حدس أقرب للوحي، يقول علاء الدين واصفاً شمس التبريزي: " في اليوم التالي عدت إلى البيت وقد عزمت على أن اتكلم مع شمس التبريزي رجلاً لرجل. كان وحده في فناء البيت، يعزف الناي؟ كان رأسه محنياً وعيناه مغمضتين مولياً ظهره لي. ولما كان مستغرقاً في موسيقاه، لم ينتبه لوجودي. اقتربت كهدهء الفأر منتهزاً الفرصة لمراقبته والتعرف على عدوي بشكل أفضل، بعد عدة دقائق توقف شمس عن العزف، ورفع رأسه قليلاً ومن دون أن ينظر نحوي، همهم كلمات كأنه يكلم نفسه، وقال: السلام عليكم يا علاء الدين، هل تبحث عني؟ لم أنبس ببنت شفة. فقد كنت

أعرف مقدرته على الرؤية من خلال الأبواب المغلقة، ولم أفاجأ بأن لديه عيوناً في مؤخرة رأسه. " 48
ومن ذلك أيضاً معرفة شمس بوجود التلميذ خلف الباب الموصد، ومعرفة الأسرار التي يخفيها التلميذ في التكية، فشمس يمتلك مواهب خارقة تمكنه من الرؤية عبر الأبواب والجدران على حسب تعبير التلميذ. 49
قد تصل الكرامة كما تحدثنا سابقاً إلى مستوى المعجزة وهذا نادر الحصول للحقيقة، إلا أنه يرد في الروايتين بين الحين والآخر، ولم تكن هذه الكرامة طاغية في الرواية كما هو الحال مع الكرامات الأخرى.

قد تختلط الكرامات مع المعجزات، وقد أشرنا سابقاً إلى الفرق بين الكرامات والمعجزات، وأن الكرامات يختص بها الأولياء، بينما المعجزات من اختصاص الأنبياء ولا بد أن تقتزن بالدعوة. من الكرامات التي تصنف من ضمن المعجزات ما ورد في رواية قواعد العشق الأربعون، ما رواه شمس عن عالم متصوف استطاع أن يدب الحياة في قطعة حلوى مصنوعة على هيئة طير. "في ذلك اليوم توجهنا إلى السوق، وشاهدنا في كشك قطعة حلوى مصنوعة على هيئة طير. وما إن نفخ فيها السيد حتى دبت فيها الحياة وطارت مع الريح. وعلى الفور تحلق حوله أهالي البلدة مبدين دهشتهم وإعجابهم بما فعل". 50

من معجزات الصوفي الواردة في الرواية، قدرته على الحديث مع الحيوانات والطيور، والأشجار، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل يتجاوز هذا إلى المقدرة على إقناعها، فشمس تكلم مع الحصان الغاضب، واستطاع تهدئته، وبإشارة واحدة منه انتهى غضب الحصان وخوفه. يقول الرومي واصفاً هذا المشهد: " أمام عيني اقترب الدرويش من حصاني، الذي أجفل، وهمس شيئاً في أذنه. بدأ الحصان يتنفس بصعوبة، لكنه عندما لوح بيده بإيماءة نهائية، هدأ الحصان على الفور، وسرت موجة من الحماسة في الحشد، وسمعت أحدهم يتمتم، ويقول: هذه شعوذة".

51

من كرامة الصوفي معرفة ساعة أجله، ولعل الوظيفة للكرامة المتحدثة عن الموت هي جعله مستساغاً أو أخف وقعاً على الصوفي. 52

وسر مأساة الصوفي كما يشير زيعور كامن في وعيه الحاد بالموت، وبأنه يعمل للموت لا للحياة، إنه يقود سلوكه، وشخصيته، وكل ما فيه، نحو ما وراء الحياة، ونحو المجهول الذي يقض مضجعه. يستعجل الموت ليثبت لنفسه صلاح توجهه نحو طلب الانعتاق من العالم الحسي، مأساته أنه يعيش كي يموت، ويموت كي يعيش. 53

في الحالات التمهيدية يتجرأ البطل على الموت فلا يخشاه، ثم تتطور هذه الجرأة حتى تصبح سلطة عليا، يطلبه ساعة يشاء، فيموت الصوفي عندما يود. 54 وقمة هذا التطور في التجرؤ على الموت، والتأمل فيه هي بلوغ الصوفي مرتبة السقف، وهي مرحلة لا بد من بلوغها عبر التاريخ الصوفي المملوء حزناً ومأساوية. 55
يستشعر الولي الصوفي موته، ويعرف مواعده، ولا يخشاه بل على العكس قد يطلبه أحياناً، وتتكون لديه صورة واضحة عن كيفية موته، والطريقة التي سيغادر بها هذه الدنيا. ورغم هذا فالولي لا يحاول الهروب من هذا المصير.

يطلب الصوفي الموت أحياناً ويستبشر به لأنه سيقربه من الله، المعشوق الأول والأخير في حياة الصوفي.

48 قواعد العشق الأربعون، ص 394 .

49 انظر، نفسه، ص 90+91 .

50 نفسه، ص 416 .

51 نفسه، ص 231 .

52 انظر، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم، ص 135 .

53 انظر، نفسه، ص 136 .

54 انظر، نفسه، ص 136 .

55 انظر، نفسه، ص 137 .

لا يخشى الصوفي الموت ولا يقلق لقدمه، فترك تراث يفيد الناس أهم من الموت بالنسبة للصوفي. يقول شمس: "استغرق الأمر سنوات عدة حتى تمكنت من وضع هذه القواعد الأربعين. والآن بعد أن فرغت منها فإني أعرف بأني أقرب من المرحلة النهائية من زماني في هذا الكون، وبدأت أرى مؤخرًا رؤى كثيرة تدل على ذلك. ولم يكن الموت هو الذي يقلقني لأنني لم أكن أعتبره نهاية، بل ما كان يقلقني هو أن أموت من دون أن أخلف تراثًا. إذ يتكدس في صدري حشد من الكلمات، وقصص كثيرة تنتظر أن أحكيها." 56

للأولياء علاقة خاصة تجمعهم، فهم الطبقة العليا في العالم الصوفي، ولديهم القدرة على معرفة أحوال غيرهم من الأولياء. وبما أننا نتحدث عن كرامة معرفة الموت، فقد تنبأ عدد من الأولياء بموت شمس الولي الصالح كما يرونه، ومكان موته، فالجميع أخبره بأن نهايته ستكون في مدينة قونية، فالسيد بابا زمان أرسل شمس إلى قونية لمقابلة جلال الدين الرومي وهو على يقين بأن نهاية شمس ستكون في تلك المدينة بعد أن يقدم للرومي المعرفة التي يمتلكها، فأخبر ما قاله بابا زمان عندما ودع شمس عند مغادرته بغداد (في النهاية إنا لله وإنا إليه راجعون)، فقد كان يعرف أنه لن يشاهد شمس مرة أخرى، لأنه لن يعود من مدينة قونية لأن نهايته ستكون هناك. يقول بابا زمان: "ثم غادر إلى قونية. حفظه الله. أعرف أنني فعلت ما كان عليّ فعله، وكذلك أنت، لكن قلبي مثقل بالحزن، وقد بدأت أشفق إلى أكثر الدراويش الذين رأيتهم في تكبتي غرابة وجموحًا. في النهاية إنا لله وإنا إليه راجعون". 57 قواعد 122

الخاتمة:

جاءت رواية (قواعد العشق الأربعون) لتمثل الحياة الصوفية، وتعبّر عن معتقدات من يتبعون هذا المذهب، ويمثل الأولياء الطبقة العليا في هذا المذهب، فهم المباركون الذين يعلمون الغيب، ويتنبؤون بالمستقبل، والقادرون على فعل المعجزات، وإن كانوا لا يسمونها بهذا الاسم، لكن ما يقومون به يصل إلى هذا الحد، حد المعجزات، وقد خصّهم الله بهذه القدرات ليكونوا قادرين على تجاوز الصعاب التي تواجههم في الحياة، وليس لإثبات شيء آخر.

تنوعت الكرامات وتعددت، فمن الأولياء من يتنبأ بالمستقبل، ومنهم من يكلم الأموات ويعرف خصوصياتهم، وكلم بعضهم الآخر الحيوانات والطيور والأشجار، وسمعوا ما يدور في خلد الآخرين من خلف الجدران والأبواب المغلقة. وتجاوز بعضهم الآخر في كرامته، فدبّ الروح في الجمادات، كما حدث مع العالم المتصوف عندما دبّ الروح في الحلوى التي كانت على شكل طير.

عرف الأولياء موعد موتهم، ومكانه، وكيفية. وتفاوتت كرامات الأنبياء وقدراتهم، فلكل ولي قدراته التي تتشكل وفقا لمكانته في الولاية، إذ يمتلك بعضهم قدرات هائلة، في حين يمتلك البعض الآخر قدرات عادية تتمثل ببعض التوقعات الصحيحة.

من الكرامات التي يمتلكها الصوفي قدرته على التنبؤ بالمستقبل، وتكون هذه القدرة في الغالب من خلال الرؤى التي يشاهدها الولي، وقد تكون عن طريق الحدس أحيانًا.

قدمت لنا رواية قواعد العشق الأربعون نماذج متعددة على هذه الكرامات، ويمكن القول أن كاتبة هذه الرواية لها اطلاع واسع على العالم الصوفي، وقد وظفت هذا الاطلاع بطريقة مميزة من خلال روايتها عن طريق شخصيات استطاعت أن توصل لنا المعنى الدقيق للولي، وكذلك الكرامات التي أمتلكها.

56 قواعد العشق الأربعون، ص 62.

57 قواعد العشق الأربعون، ص 122.

المصادر والمراجع:

- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط5، 2011م.
ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تحقيق: عبد القادر أرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، 1985م.
الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.
حمدي، أيمن، قاموس المصطلحات الصوفية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2000 م.
زيعور، علي، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم القطاع اللاواعي في الذات العربية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
شفق، إليف، قواعد العشق الأربعون، ترجمة: خالد الجبيلي، دار طوى للنشر والإعلام، لندن، ط1، 2012م.
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت 1379هـ.
القشيري، أبي القاسم عبدالكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية في علم التصوف، دار الكتاب العربي، العراق، 2003م.
الكاشاني، عبد الرزاق، معجم اصطلاحات الصوفية، تحقيق: عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط1، 1992م.